الورود
المعنى بالخطاب وان جد كل الجد وبذل المجهود بنشر الرائق المودع بحديقة
المحصي في اجناس جناسه والموري به مقباس اقتباسه الذي هو امر لا
يقوم به لسان ولا يطلع في فصاحته انسان وحظ المعجب منه اكثر من حظ
المعجب به ولا يعلم ما اقوله الا من صرف في صناعته بحوث وجرى فيها على عرق
فان شككت ايها المستريب الواقف فانظر الى كتاب هذا العارف وخطابه
الذي بكتابته للمعارف فيه عارف الذي قرائته والاملاء مجتمعة والاسماع
مستمعة والنفوس شائقة والعقول تائقة والابصار امقة والافكار عامقة
فهذا امام وذاك همام وهذا عظيم وذاك عليم وتلك طائفة واخرى عاكفة
حتى بهرت عقولها بما مهد فيه من القواعد وانفذ فيه من الفوائد وصيرتها
في الاذهان منقشة وبها الارواح منتعشة فكم من قلب اجلبته بها فاسمعته
بعد الوقرة وبصرته بعد العشوة فخرج خارقا للفجاج في الافاق معلنا ان
منشيه استاذ ائمة النثر على الاطلاق ثم لما اتوا الى عند قرائته اذ شمر الابصار
وصرفت نحوي افئدتها الابرار ترادفت بينهم الاعين فتطابقت منهم
الالسن على ان لو اجتمع جميع من نثر ونظم من ائمة النثر والنظم من الامم لما قدرت
على احداث نهر من انهاره التي لا تجري الا بغرائب النكات ولا عرفت كيف
السبيل الى ايجاد شجرة من اشجاره التي لا تحمل الا الفاظا عذبة طعم معانيها
لم يخرج الا باقرب المجازات ومتى حوى هذا الوجود من اجله مقابلا ومقارنا
ومعادلا وموازنا لا اصيره مثيلا مناظرا وعديلا مكاثرا صار فانفد عمره
في خدمة كتاب الله عز وجل واتقا بعد تعب الجسد ونصب الفكر الى ما
يصل اليه بما امله واستدل ليكون المساوي او الاجل كلا لا يخاط المعنى با
لخطاب ولا يماط بل لا يجاري ولا يباري وكيف لم يكن كما وصفت وقد ابتدا
فابتدع واستحدث واخترع واجاد في كل صنع فاني لست ممن يترك سموم التعصب
تسري بعصبه وعروقه وممن يتخذ خفض النفس لعلوه وشهوقه بل اقول الحق
وان هو اوسع الاشياء في التواصف واصول بالصدق وان هو اضيقها
عند المتناصف اذا اخشى ان اكون ممن بايات الله كانوا يمترون بنبذ الحق
وراء

٢٥١
وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما كانوا يشترون ويحق ذاته
الشريفة ومنادمته الظريفة لولا ان غرائب الدهر التي لو راها الحالم لطار
من وكر الجفن نومه ولو شاهدها اليقظان لاعتكر من ظلام الهموم يومه
قد صيرت ثوبا ملائي رثا وشمل انشائي هباء منبثا لكنت انهض وانبض
القلم ببنان الفؤاد لا بهذه البنان اقبض

وانظم نثر الدر عقدا انسومه　　مدادك من للجوهر الفرد سائم
فيزداد اثمانا اذا هو سامه　　ويغلو ولو كان المسيم المخاصم
وازلقه راحتاه اذا استوى　　عليها واكسته الخلوص العلائم
هنالك يبدوا انه منفرد　　ولم يحك منظوما به قط ناظم

لكن القريحة جامدة وزنادها خامدة فلا تصوب عزاليها ولا يبقى في
جارتها وخاصة مع اشكال المقام واعضاله فقد جائني لمثال لكل مقام
مقال وعلمت ان المعني بالخطاب جم فضله تقصر دونه البلاغة وتضعف
عن حلى حسامه الصياغة غير اني لما وضعت منشوره بين اضلاعي فقد توصلت
بوسيع باع منشيه الى سعة باعي لانه دامت حيوته اذا قبض القلم رفع عن ختم
كلام لم يترك طريقا من البلاغة الا طرقه ولا معنى من الفصاحة الا خرقه
ولا يدع لمتكلم في فرسين المعاني منزعا ولم يبق لمنطيق في موطن المباني موقعا
بل يجي بقول جامع ياخذ من جميع الطرف بالمجامع فاني للخطيب المبتدع و
الاديب المخترع الوصول الى غرائب نكاته واشاراته وعجائب محكم اياته
وفقراته وهيهات ان ادري واعظ الوقت مجيزي على التقابل اذ لا يرى في
التشاكل والتماثل ولقد كنت اضمر في نفسي احيانا ذلك فاجري جواد القلم
في هذه المسالك لتتبين لي بعد المناسبة بين بيانه وبياني وكلما
حاولته يضيق صدري ولا ينطلق لساني فلو شاء الله لم يجعل الترك للمقابلة
طريقه ووسع لمنازله طريقه فلعله من ذلك يتوصل الى ابعاد قلمه عن الزلل
وتنحيه عن الميل والحيف فيعير نقد المعاني بمعيار الترصيع ويوزن
مثاقيل المباني بميزان الترشيح والتوشيع فيسير على حذو ذلك المحصل له

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)